

## المحاضرة السادسة موسيقى الخمسات

### أولاً: تعريفها:

أ- لغة: التخميس: جَعَلَهُ الشَّيْءُ خَمْسَةَ أَزْكَانٍ، وشيء مُخَمَّسٌ: له خَمْسَةُ أركان، ومنه الْمُخَمَّسُ من الشَّعر: ما كان على خمسة أجزاء، وخَمَّسَ الشَّعر: جعل كلَّ قطعة منه خمسة شطور<sup>1</sup>.

ب- اصطلاحاً: المَخْمَس أو المَخْمَسَات هو نوع من الشعر يقسم فيه الشاعر قصيدته إلى خمسة أقسام، في كلِّ منها خمسة أشطر، يُراعى فيها نظام معيّن للقافية.

### ثانياً: الدافع لنشأتها:

لم تكن فكرة التخميس موجودة في الشعر العربي القديم، وإنما وُجِدَتْ عند المولدين؛ فالتخميس فنٌّ من الفنون المستحدثة التي أوجدها المولدون.

وكان الشعراء المولدون إذا استحسنوا قصيدةً أو بيتاً أو أكثر عمدوا إلى مجاراته، ولهم في ذلك عدّة طرق فمنها: أن يقوموا بتشطير الأبيات أو البيت، أو معارضة القصيدة ومحاولة الوصول إلى معاني صاحبها أو (تخميسها)؛ لعلّهم يلحقوا بصاحبها. وفي هذا الشأن يقول علي بن موسى المغربي: "جرت العادة عند المشاركة والمغاربة أن يعمدوا لشعر قد ولع أهل السماع بالغناء فيه فيخمسونه"<sup>2</sup>. ومن الأمثلة على ذلك بيت قيس بن الملوح:

أمر على الديار ديار ليلى      أقبل ذا الجدار وذا الجدارا  
وما حبّ الدّيار شغفن قلبي      ولكن حبّ من سكن الديارا

فخمسّه أحد الشعراء وقال: محبّ غادر العبرات سيلا      لكي يحظى من الأبواب نيلا  
ألم ترني أجوب البيد ليلا      (أمر على الدّيار ديار ليلى

### أُقْبَلْ ذا الجدار وذا الجدارا)

تهيِّج لوعي وتزيد كربي      ديارٌ لّتي فتكت بلبي  
بليت بحبها من دون صحتي      (وما حبّ الدّيار شغفن قلبي

### ولكن حبّ من سكن الديارا)

ومع تطوّر فن التخميس، لم يعد مرتبطاً بمجاعة قصائد أخرى، وإنّما أصبح الشعراء ينظمون القصائد المخمّسة كلّها دون تأثّر بقصيدة معينة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الفارابي إسحاق، بن إبراهيم بن الحسين (2003): معجم ديوان الأدب، نج: أحمد مختار عمر، مر: إبراهيم أنيس. مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ج2، ص358.

<sup>2</sup> - المغربي، علي بن موسى بن سعيد. (1425هـ). (المقتطف من أزهار الطرف، دار النشر شركة أمل. القاهرة، ج1، ص236.

<sup>3</sup> - يفرّق بعضهم بين التخميس والمخمّسة؛ فالتخميس هو مجاعة قصائد الغير، والمخمّسة هي من تأليف الشاعر دون مجاعة.

ثالثاً: أنواعها: والشعر الخمس نوعان:

### النوع الأول:

وهو الذي تكون فيه الأَشطر الخمسة ذات قافية واحدة، مستقلة تمام الاستقلال في قوافيها وأوزانها عن الأَشطر المَحْمَسَات الأُخرى، وهذا هو المَحْمَس الحَقِيقِي، ولم يشع هذا الشعر بين الشعراء المحدثين، ومثاله قول إلیاس فرحات في قصيدته (بين الطفولة والشباب):

ظلمتني ظلمتني يا دهر — ماذا تشا هل لك عندي ثأر  
كأن دمعي فوق خدي نثر — كأن صدري من سقامي شعر  
وكل ضلع من ضلوعي شطر  
قد صرت من حزني وامتعاضي — كالهيكال الهادي إلى الأرباض  
إن أذكر العهد اللذيذ الماضي — يختلط السواد بالبياض  
وتمطر العين على الأنقاض

### النوع الثاني:

وهو الذي تتفق فيه القافية في الأَشطر الخمسة الأولى، وفي باقي مَحْمَسَات القصيدة تكون للأَشطر الأربعة الأولى من كلِّ مَحْمَسَة قافيتها الخاصة، وتتفق قافية الشطر الخامس مع باقي أقسام المَحْمَسَة. وقد استحسّن الشعراء موسيقى هذا النوع واستعذبوه، فأكثرُوا النظم فيه، ومثاله قول حافظ إبراهيم يُرثي الملة فيكتوريا:

أُعْزِي القَوْمَ لَوْ سَمِعُوا عَزَائِي — وَأُعَلِنُ فِي مَلِيكَتِهِمْ رِثَائِي  
وَأَدْعُو الإنْجِلِيزَ إِلَى الرِّضَاءِ — بِحُكْمِ اللّهِ جَبَّارِ السَّمَاءِ

### فَكُلُّ العَالَمِينَ إِلَى فَنَاءِ

أَشْمَسُ المُلْكَ أَمْ شَمْسُ النِّهَارِ — هَوَتْ أَمْ تِلْكَ مَالِكَةُ البِحَارِ  
فَطَرَفُ العَرَبِ بِالعَبْرَاتِ جَارِي — وَعَيْنُ اليَمِّ تَنْظُرُ لِلْبُخَارِ

### بِنَظَرَةٍ وَاجِدِ قَلْبِي الرِّجَاءِ

ملاحظة: اكتفى المصنفون بتحديد نوعين من المَحْمَسَات فقط، غير أننا نجد بعضهم ينسج مَحْمَسَات على غير هذين النوعين حيث اعتمد الشعر المزدوج في إنشاء المَحْمَسَة، بحيث يكون الشطران الأولان مصرعان بقافية تختلف عن الشطرين الثالث والرابع، وتتفق قافية الشطر الخامس مع باقي أقسام المَحْمَسَة، مثل مَحْمَسَة إيليا أبو ماضي التي يقول فيها:

أَبْصَرْتُ فِي الحَقْلِ قُبَيْلَ المَغِيبِ — سُنْبُلَةً فِي سَفْحِ ذَاكَ الكَثِيبِ  
حَانِيَةً مُطَرَّقَةً الرِّاسِ — كَأَنَّما تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ

### وَأَنَّهَا تَتَلَوُ صَلَاةَ المَسَاءِ

فَمَلْتُ عَن رَاهِبَةِ الحَقْلِ — وَسَرْتُ لِأَلْسُوِي عَلَى ظِلِّي  
أَلْتَقِطُ الحُبَّ وَأَذْرِيهِ — وَتَارَةً فِي النِّارِ أُلْقِيهِ

### مُسْتَخْرَجاً مِنْهُ لِجِسْمِي غِذَاءِ

## رابعاً: وزنها:

أشار ابن رشيق إلى أنّ الشعراء لم يستعملوا في المخمّسات إلاّ الرجز، لأنّه- حسب رأيه "وطيء سهل المراجعة"<sup>4</sup>. غير المخمّسات لم ترد على بحر الرجز فحسب بل نظمت على بحور آخر مثل الوافر (وهو كثير) والخفيف<sup>5</sup> والسريع<sup>6</sup> والطويل<sup>7</sup>:

### نموذج من المخمّسات:

- تخميس أبيات لأبي الطيب المتنبي التي بالأحمر  
جفاني الناس كلهم وأنتا فخبتم "إن سعيكم لشتى"  
تمثل يا فؤادي إن شكوتنا: رماني الدهر بالأرزاء حتى

### فؤادي في غشاء من نبال

وقد عقم الزمان فلا كراماً ولكن، استبد به لئام  
كأن كلام أكثرهم كلام فصرت إذا أصابني سهام

### تكسرت النصال على النصال

كذاك وإن تطايرت الشظايا فإني للصبور على المنايا  
فجسمي طالما ألف البلايا وهان فما بالي بالرزايا

### لأني ما انتفعت بأن أبالي

- تخميس صفي الدين الحلي لأبيات من قصيدة السمؤال  
قبيح بمن ضاقت عن الأرض أرضه وطول الفلا رحب لديه وعرضه  
ولم يُبَلِّ سربال الدجى فيه ركضه إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه

### فكُّل رداء يرتديه جميل

إذا المرء لم يخجُب عن العين نومها ويُغلي من النفس النفيسة سومها  
أضيق ولم تأمنُ معاليه لومها وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها

### فليس إلى حسن الثناء سبيل

<sup>4</sup> - العمدة، ج1، ص180.

<sup>5</sup> - نموذج من الخفيف:

وَتَصَدَّى مِنْ فُحْشِهِ فِي اسْتِيقَابِ بَمَنْعِ اللَّحْظِ مِنْ جَنَى وَاعْتِنَابِ أَيَّاسِ الْعَيْنِ مِنْ لِحَاطِ اعْتِنَابِ قَالَ جَفْنِي لِصِنْوِهِ: لَا تَلَا فِي إِنَّ بَيْتِي وَتَيْنَ لُقْبَاكَ مَبْلًا	وَرَقِيبٌ يُرَدُّ اللَّحْظَ رَدًّا لَيْسَ يَرْضَى سِوَى أُرْدِيَادِي بُغْدَا سَاجِرِ الظَّرْفِ مُدَّجِي الخُدَّ وَرَدَا إِنَّ يَوْمًا لِنَاطِرِي قَدْ تَبَدَّى فَتَمَلَّى مِنْ حُسْنِهِ تَكْجِيلًا
---	--

<sup>6</sup> - نموذج من السريع:

فَمَلْتُ عَنْ رَاهِبَةِ الحَقْلِ وَسُرْتُ لِأَلْوِي عَلَى ظِلِّي أَلْتَقِطُ الحُبَّ وَأَذْرِيهِ وَتَارَةً فِي النَّارِ أَلْقِيهِ مُسْتَخْرَجًا مِنْهُ لِجِسْمِي غَدَاءَ	أَبْصُرْتُ فِي الحَقْلِ فُبَيْلَ المَغِيبِ سُنْبُلَةً فِي سَفْحِ ذَاكَ الكَنْبِ حَانِيَةً مُطْرَقَةً الرُّأْسِ كَأَنَّمَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ وَأَنَّهَا تَتَلَوُ صَلَاةَ المَسَاءِ
---	---

<sup>7</sup> - نموذج من طويل:

خَلِيلِي إِنْ أَجَزَعُ فَقَدْ وَضَحَ العُذْرُ وَإِنْ أَسْتَطَعُ صَبْرًا فَمِنْ شِيَمَتِي الصَّبْرُ وَإِنْ يَلِكُ رُزَا مَا أَصَابَ بِهِ الدَّهْرُ فَفِي يَوْمِنَا حَمْرٌ وَفِي غَدِيهِ أَمْرٌ وَلَا عَجَبٌ إِنْ الكَرِيمَ مُرَّرًا	تَنَشَّقُ مِنْ عَرَفِ الصَّبَا مَا تَنَشَّقَا وَعَاوَدَهُ ذِكْرُ الصَّبَا فَتَشَوَّقَا وَمَا زَالَ لَمَعُ البَرَقِ لَمَّا تَأَلَّفَا يُهَيِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ حَتَّى تَدْفَقَا وَهَلْ يَمْلِكُ الدَّمْعُ المَشَوْقُ المُضْبَأَ
--	---